بسم الله الرحمن الرحيم

الإِتَّحَادُ قُوَّةٌ ٢٢ مُحَرَّمٍ ١٤٤٧هـ

اتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ– ، وَاذْكُرُوا وُقُوفَكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ ائْتِلَافَ الْقُلُوبِ، وَاجْتِمَاعَ الْكَلِمَةِ مِنْ أَوْضَحِ صِفَاتِ الْمُسْلِمِينَ الْمُخْلِصِينَ، الَّذِينَ جَعَلَ اللهُ الأُخُوَّةَ فِي الدِّينِ قَاعِدَةَ وَأَسَاسَ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وَوَصَفَ أُمَّتَهُمْ بِأَنَّهَا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

وَلَمَّا كَانَ التَّفَرُّقُ وَالتَّنَاحُرُ وَالتَّدَابُرُ مُبَايِنًا لِذَلِكَ كُلَّ الْمُبَايَنَةِ؛ لِأَنَّهُ مِعْوَلُ هَدْمٍ فِي بُنْيَانِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَسَبَبٌ لِتَقْوِيضِ عَوَامِلِ الْقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ وَالْخَيْرِيَّةِ الَّتِي كَتَبَهَا اللهُ لَهَا، جَاءَ التَّحْذِيرُ الرَّبَّانِيُّ مِنَ الْخِلَافِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ مَنْ قَبْلَنَا مِنَ الْأُمَمِ، فَحَمَلَهُمْ عَلَى التَّنَاحُرِ وَالتَّلَاعُنِ، مَعَ مَجِيءِ الْبَيِّنَاتِ الْهَادِيَاتِ الْمَانِعَاتِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي ذَلِكَ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ عَدَّ اللهُ تَعَالَى هَذَا التَّفَرُّقَ فِي الدِّينِ وَالِاخْتِلَافَ فِيهِ مُفْسِدًا لَهُ، وَمُقَوِّضًا لِأَرْكَانِهِ، وَعَامِلًا عَلَى الِانْفِصَالِ عَنْهُ، وَسَبَبًا لِبَرَاءَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وَكَمَا جَاءَ هَذَا النَّهْيُ عَنِ التَّفَرُّقِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْهُ، فَقَدْ جَاءَتْ تَكَالِيفُ الشَّرِيعَةِ بِكُلِّ سَبَبٍ يَضْمَنُ الِائْتِلَافَ، وَيَحُولُ دُونَ التَّفَرُّقِ، فَمِنْ حَثٍّ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فِي جَمَاعَةٍ بِالْمَسَاجِدِ، بِالتَّرْغِيبِ الْقَوِيِّ فِيهَا، وَالتَّحْذِيرِ الشَّدِيدِ مِنْ تَرْكِهَا، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»، وَأَوْجَبَ اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ الِالْتِقَاءَ كُلَّ أُسْبُوعٍ لِسَمَاعِ الذِّكْرِ، وَأَدَاءِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَشُرِعَ اجْتِمَاعٌ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فِي صَلَاةِ الْعِيدِ، وَجَعَلَ مَكَانَهُ الصَّحْرَاءَ، وَحَثَّ عَلَى حُضُورِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ - حَتَّى الْحُيَّضِ مِنْهُنَّ - لِيَحْظَى بِهَذَا الْخَيْرِ الْعَدَدُ الْغَفِيرُ، وَيَعُمَّ النَّفْعُ، وَفَرَضَ اللهُ ﷻ وَرَسُولُهُ ﷺ اجْتِمَاعًا يَضُمُّ حُشُودًا تَأْتِي مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، تَؤُمُّ الْبَيْتَ فِي زَمَانٍ مَعْلُومٍ لِأَدَاءِ شَعِيرَةِ الْحَجِّ، فَيَكُونُ الْتِقَاءُ هَذِهِ الْحُشُودِ أَمْرًا مَحْتُومًا لِشُهُودِ الْمَنَافِعِ الَّتِي تَأْتِي لِلشَّدِّ عَلَى الرَّوَابِطِ بَيْنَ الْإِخْوَةِ، وَالسَّعْيِ إِلَى تَوْحِيدِ صُفُوفِهِمْ، وَجَمْعِ كَلِمَتِهِمْ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: السُّنَنُ الَّتِي سَنَّهَا رَسُولُ الْهُدَى ﷺ مِنَ الْوَصِيَّةِ بِالِاتِّحَادِ وَالِاجْتِمَاعِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ غَوَائِلِ الْفُرْقَةِ وَالتَّنَازُعِ، مَا يُفْصِحُ عَنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ ﷺ عَلَى مَا يَحْفَظُ أَسْبَابَ ذَلِكَ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ، وَيُرْشِدُ إِلَيْهِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ **أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ». فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلًا إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى يُقَالَ: لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ.**

عِبَادَ اللهِ: لَمَّا كَانَ التَّطَاحُنُ وَالتَّنَازُعُ عَلَى مَتَاعِ الدُّنْيَا شَأْنَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ

ذَلِكَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ فِي خُطْبَةِ يَوْمِ النَّحْرِ كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ »، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ، «فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

وَلَمَّا كَانَ الْخُرُوجُ عَلَى إِجْمَاعِ الْأُمَّةِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الشِّقَاقِ وَالتَّنَازُعِ؛ فَقَدْ كَانَ التَّحْذِيرُ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الطَّاعَةِ وَمُفَارَقَةِ الْجَمَاعَةِ شَدِيدًا، وَالْعُقُوبَةُ عَلَيْهِ مُغَلَّظَةً، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، عَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الْأَشْجَعِيِّ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ [أَيْ: فِتَنٌ وَأُمُورٌ حَادِثَةٌ]، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، أَوْ يُرِيدُ يُفَرِّقُ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَائِنًا مَنْ كَانَ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ».

وَقَدْ كَانَ مِنْ شُؤْمِ التَّنَازُعِ وَوَبَالِهِ مَا حَصَلَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَإِنَّ مَا وَقَعَ مِنْ تَنَازُعٍ وَعِصْيَانٍ لِأَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ كَانَ سَبَبَ مَا مُنُوا بِهِ مِنْ هَزِيمَةٍ فِي جِهَادٍ بَذَلُوا فِيهِ لِلَّهِ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَوْعِظَةٍ وُعِظُوا بِهَا بَعْدَ مَا كَانَ مِنْ نَصْرِ اللهِ لَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ: أَنْ أُمِرُوا بِجَمْعِ صُفُوفِهِمْ، وَالْحَذَرِ مِنَ التَّنَازُعِ الْمُفْضِي إِلَى الْفُرْقَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. وَإِنَّهُ لَفَشَلٌ وَذَهَابُ رِيحٍ لَا عَاصِمَ مِنْهُ، وَلَا مَنْجَاةَ مِنْ غَوَائِلِهِ إِلَّا بِالِاعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللهِ؛ أَيْ: بِدِينِهِ، وَبِكِتَابِهِ، وَبِشَرْعِهِ، وَبِنَبْذِ التَّفَرُّقِ الْمُفْضِي إِلَى جَحْدِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْنَا؛ إِذْ هَدَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ، وَجَعَلَنَا مِنْ بَعْدِ عَدَاوَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَحْقَادِهَا وَتَفَرُّقِهَا وَتَحَزُّبِهَا إِخْوَانًا فِي الدِّينِ، أَعْوَانًا عَلَى الْخَيْرِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الِاخْتِلَافَ النَّاشِئَ عَنْ تَفَاوُتِ الْمَدَارِكِ فِي الْفَهْمِ، وَتَبَايُنِ الْعُقُولِ فِي الِاسْتِنْبَاطِ، لَمْ يَكُنْ أَبَدًا وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِلْفُرْقَةِ وَالتَّنَازُعِ؛ لِأَنَّهُ اخْتِلَافٌ بَيْنَ مُجْتَهِدِينَ أَسَاغَهُ الشَّارِعُ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ فِيهِ دَائِرًا بَيْنَ أَجْرَيْنِ لِمَنْ أَصَابَ، وَأَجْرٍ لِمَنْ أَخْطَأَ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ». فَمَا دَامَ الْقَصْدُ صَحِيحًا، وَالْوَسِيلَةُ صَائِبَةً، وَالْأَهْلِيَّةُ قَائِمَةً، فَلَا مُوجِبَ لِلتَّنَازُعِ؛ إِذِ الْمَقْصُودُ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَالدَّلَالَةُ عَلَيْهِ؛ رَغْبَةً فِي التَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ، وَذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الِاجْتِمَاعِ لَا التَّفَرُّقِ، وَمِنْ عَوَامِلِ الِاتِّحَادِ لَا التَّنَازُعِ.

عِبَادَ اللهِ: مَا أَحْسَنَ أَنْ يَكُونَ الْإِعْلَامُ بِمَا يُتِيحُهُ مِنْ وَسَائِلَ، وَمَا يُوَفِّرُهُ مِنْ مَوَاقِعِ تَوَاصُلٍ سَبَبًا لِاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، لَا أَنْ يَكُونَ عَامِلَ فُرْقَةٍ وَخُصُومَةٍ وَتَنَازُعٍ.

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ -، وَاعْمَلُوا عَلَى كُلِّ مَا يُحَقِّقُ اتِّحَادَ الْكَلِمَةِ، وَوِحْدَةَ الصَّفِّ، وَحَذَارِ مِنَ التَّنَاحُرِ وَالتَّنَازُعِ وَالتَّفَرُّقِ الْمُؤْذِنِ بِالْفَشَلِ، وَذَهَابِ الرِّيحِ؛ فَإِنَّهُ أَسْوَأُ مَصِيرٍ يَنْتَظِرُ الْمُتَخَاصِمِينَ الْمُتَنَازِعِينَ.